وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله-

كلية العلوم الاجتماعية

المرجع/المراسلات الوزارية:

01- رقم:/أ.خ.و/2020 بتاريخ 29 فيفري 2020

02- رقم: 416/أ.خ.و/2020 بتاريخ 17 مارس 2020

03- رقم 440/أ.خ.و /2020 بتاريخ 2020/03/23

نموذج الوثيقةالبيداغوجية لتدعيم

منصة التعليم عن بعد

fss@univ-alger2.dz

اسم ولقب الأستاذ:عبدالعزيز راس مال	
المقياس : أنثربولوجيا الدين والمقدس	☐ محاضرة ☐ *

نوع الوثيقة : محاضرة
الفئة المستهدفة من الطلبة: االجذع المشترك " أنثربولوجيا "
السنة الثالثة
الفوج الأول
التخصص: الأنثربولوجيا... تاريخ تسليم الوثيقة : 19 أفريل 2020 م.

<u>المحاضرة الخامسة</u> : المقدس والهوية .

الهوية باللغة الفرنسية Identité تعود إلى Identique تعني شيئين متطابقين أو في علاقة تطابق ، أي لهما خاصية الوحدة ، والتناسق مع الذات ، والتعرف الكلي على الذات في السابق ، وهي بهذا المعنى تحيل إلى الشخصية والتحول ..هي حالة بقاء ، وكينونة ، أو إحالة إلى وصف ...

<u>علم النفس</u> :Identity مأخوذة من Idem، أي " اللامتغير " ، فهم الذات الإنسانية ، تصور الذات ...شيء ما في حد ذاته دون أي علاقة مع الآخر .

<u>علم الاجتماع</u> : تتحدد الذات عبر بناء أنساق بين العالم الموضوعي (المجتمع) والعالم الذاتي للبشر. يختفي تحديد الهوية بين العلاقات مثل اختفاء المقدس في عشرات العلاقات ، إنه يظهر فقط حينما نريده أن يظهر، ليصبح قوة تسكننا ، أو طقسا نمارسه أو زمنا نعطيه أهمية خاصة أو اسما يلصق بنا ..مثال ذلك : « أمريكا الجنوبية تمتلك الإسبانية باستثناء البرازيل ، لكنها تمتلك حسا بهويات متعددة ، حال انفصال عن " اللغة ..أوروبا الغربية تمتلك لغات عدة ، لكنها تمتلك حسا عاليا بالتسمية **" الأوروبي "** .

تستقبل المفاهيم في كليتها أو وحدتها : "**الأمة الإسلامية "** ، فاللفظة ذات الأصل الديني أخذت بعدا عاديا في تصور **" الأمة "** ، لأنها حكمت أمما عديدة وهويات متعددة ..: " في التقاء وتمفصل الثقافي والاجتماعي ، السياسي والأنثروبولوجي ، الفردي والجماعي ،تستطيع الهوية أن تتطور إلى ما نهاية طيلة المدة التي تبرز فيها الإختلافات ، وتطفو إلى الشعور ، إنها زهرة النرجس التي تموت متحررة ، وتحيا في الأسر ..

تمتليء الهوية بتسمية ما، جغرافية – سياسية – لغوية – دينية ، بل يمكن أن تتدعم من خلال الثقافة في حالات المواجهة ، وستصبح أحيانا أداة فعالة للجميع وأداة فعالة في الفصل أيضا ...

لذلك ، واعتبارا بالحقائق التاريخية ، يمكن الحديث عن ثقافة تاريخية فرعونية أو بربرية (آلاف السنين) حيث أدمجت وتم تمثلها في فترات لاحقة لها ، و يمكن رصد امتدادها في ثقافتنا الحالية بأشكال مختلفة ...النظر إلى تواريخ عدة " هندي – فرسي – عربي " ، في إطار الحضارة الإسلامية هنا ، تتحدث عن هويات لا عن " هوية "!

<u>الطقوسية والهوية:</u>

إذا كان معنى كلمة « دين » في اللاتينية Religio مأخوذة من Religare (الربط بقوة) فإن الطقوسية هي التي تقوم بهذا الفعل .

الطقوسية Ritualis كلمة لاتينية / هندوسية – أوروبية تتعلق بالاحتفالات المرتبطة بأحداث مقدسة والتي تجري على هيئة دراما مسرحية – كما عرفنا سابقا – وطقوس تحولات من حالة إلى حالة على مستوى الفرد أو الجماعة : الميلاد – البلوغ – الزواج – الموت (....) طقوس التدريس التي تجعل من بعض الأفراد خداما للإله ، و طقوس العبادات ، و طقوس التراتبية الاجتماعية ..

لا تقتصر الطقوس على المسألة الدينية ، و إنما تمتد لكل المجالات ، وتطرح الطقوس حدودا لعدم التجاوز كجزء من النظام الاجتماعي ، بأن تطلق عليه ألفاظا مثل : مجرم – خطير- خطاء ...وهذا موجود في المجتمعات المتقدمة وفي المجتمعات البدائية على حد سواء .

الشعوب ذات الحضارات المركزية جانست نفسها حول مجموعة من القيم والأفعال عبر آلاف السنين، واتخذت حالة شبه ثابتة في الشكل والمحتوى ، ومن دون تغييرات نوعية إلا في فترات قليلة من تاريخها عكس المجموعات المرتحلة من البدو الذين انتقلوا وعاشوا على هامش تلك المجتمعات، البعض الذي اندمج تخلى تدريجيا عن عالمه القديم ؛ والبعض الذي ظل على حالته ، خلق عالمه الخاص ..

العادات ذات البعد التقديسي مثل : الختان (اليوم الثامن للميلاد) وتعود هذه العادة المصرية إلى النبي " **إبراهيم** " عليه السلام ، وهي جزء من شخصية اليهودي ، أي أنها تفقد بعدها الدنيوي لتصبح أمرا من الله (ديني) ، بينما في الإسلام ليس له هذا البعد الديني و إنما الاجتماعي- الدنيوي ، بمعنى المرور إلى مرحلة " الرجولة " !

لذا تكون للمقدس وطأته العليا بتحويل اليومي إلى إلهي ، كوني ، نظامي ، واختلاله يعتبر مدنسا ؛ من الناحية الأخرى نجد لدى اليهود الإسمان : اسم " ديني " واسم " مدني " ، وفي حالة تمثل العزلة والعداء المتبادل ..هذين الإسمين نوع من الوقاية ، إلا أن الهوية الدينية لم يتم التفريط فيها على مدى التاريخ اليهودي !

طقوس " الموت" المصرية لا تجدها في الديانات الأخرى، فهي تعني التعويض ، خلق التوازن بين المملوء جدا والفارغ جدا (الوجود / الوطأة إزاء العدم) وهو يعبر عن هوية خاصة .

يعود الحج في الإسلام إلى إبراهيم أيضا ؛ وهو طقس " فردي " إزاء الإله ، إنما هو طقس جماعي، لكل العرب و المسلمين ، فالإسلام منذ أول انتصار امتلك قوة جماعية / جمعية لم تتوافر لدين آخر، وإنما شكل أحد عوامل الانتشار السريع خارج الجزيرة العربية ...أخذ مفهوم الفتح بعده المقدس ، ولم يبق مجرد مفهوم " دنيوي " من مفاهيم التوسع ! كما أن الصلاة تساهم في إيقاظ روح النظام ، والمحافظة عليه ، و تؤكد على إقصاء الفوضى للأبد ومثلها خمس (5) صلوات و الجمعة خاصة ، بفعل فعلها التوحيدي : فعل المشاركة الذي هو أهم عوامل الاعتراف والتقبل داخل البنية الثقافية عموما ...

المرجع:

عبدالهادي عبدالرحمن : عرش المقدس ، الدين في الثقافة والثقافة في الدين ..دار الطبيعة بيروت – لبنان – 2000م ..

المحاضرة السادسة: المقدس والبيولوجيا .

تمهيد :

الإنسان " حيوان ناطق " ، هذا ليس حطا من قدره ، وإنما تركيبته هي التي جعلته كذلك ؛ فالحاجة النفسية في الحماية والطمأنينة ترتبط بالدماغ ، الذي هو عنصر بيولوجي ..الأمن الغذائي – السكن – الصحة – الزواج – الزراعة – الصناعة البيولوجية .. كلها مسوغات لحيوانيته ، لكنه " حيوان بشري " تجاوز المنظومة الحيوانية من خلال احتياطه الإستراتيجي من عدم التحقق وعدم الإشباع ، حيث أن الدماغ البشري تجاوز الدماغ الحيواني .

هيمنة البيولوجيا :

يتمتع الدماغ البشري بإمكانيات غير محدودة في إنتاج الافكار و حاجات غير محددة أيضا ، ومناطق غير معروفة لغاية الآن فيما يتعلق بتركيبته الوظيفية و التشريحية ..تتطلب قدرة فائقة بل مستحيلة في ظل العلاقات الإنسانية الحالية ، فخرج الإنسان من كيمياء الجسد وارتبط مباشرة بأسرة وشارع ومؤسسات وأقطار و نظم دينية وسياسية. الصرخة الأولى للإنسان حين يولد توجهه إلى تحقيق حاجته الأولية إلى صدر أمه لترضعه ...ينتقل الصغير من جنة عدن (رحم أمه) حيث كانت تتفجر أمامه عناصر من التغذية و أنهار من العسل والحليب إلى خارج هذه الجنة – كما وقع لآدم – فيكتشف قساوة الحياة ، و أن عليه التنفس بعد أن كان يأخذ هواء أمه جاهزا ، وعليه أن يبكي ، مواجهة صدمة الميلاد و آلامه الأولى في وسط مختلف عن جنة عدن !

الحاجات المفرطة :

تعتمد على المعادلة التالية : الحاجة المفرطة = الاعتمادية المفرطة + الدماغ البشري ...وهذه الحاجة المفرطة لابد من تحقيقها بالوهم " بخلق الكمال في العالم " والاكتفاء بأن القناعة والطاعة هما رضى كامل ؛ من هنا تنبع الجذور الأولى للسحر الذي يحقق المطلوب (كلمة – رسم – تعويذة) أو بالدين والذي يحل هذه المعادلة بآية واحدة ، أو بعدد منها ...

مسألةالموت وهيمنة الطبيعة :

يدركها هذا " الحيوان البشري " بالقوة التي يكتنزها دماغه المتطور ، وقد وجدت الحل في الخلود والآخرة وفي الكثير من نتاجات الحضارة البشرية منذ القدم لغاية الآن .. لكن الاعتماد المفرط على الطبيعة هو ما يضاعف محدوديته تجاه الموت ، فالطبيعة ترضى أحيانا وتغضب أحيانا أخرى (الزلازل – البراكين – الفياضانات – الأوبئة) ويصبح أمامها الإنسان كيان هش كورقة في مهب الريح ..أما الحل أو البديل ، فهو محاولة السيطرة على الطبيعة بالآلهة قديما ، وبالعلم حديثا ، وإما بالخضوع لها ؛ وتبرير هذا الخضوع ، هو أن الطبيعة رغم هذا رحيمة ، بدونها لا توجد أشجار أو غابات أو مناظر خلابة (جبال ، سهول ، وهاد ، أنهار ، بحار ، شمس ، قمر ..الخ) ..ومن هنا طغى تقديس الطبيعة و رموزها ...إحساس الإنسان بالموت على وجهين : - الموت الطبيعي – الموت الناتج عن تبخيس القيمة الذاتية و إحساس بالتلاشي والانسحاق ، لكن تدخلت آليات الدفاع النفسي لإيجاد حاضر مقابل الوجود المنفي. (محاولة إعادة بعث الحياة – بعث جديد) وهنا ، العودة لفكرة الآخرة بسبب الحياة و ليس بسبب الموت ، وأسهل الأدوات هي اللغة في الخيال و في التصور وفي الدين و في السحر وفي الفنون ..وفي

النزعة العرقية وفي المعتقدات الكونية ؛ أما الحل ، فيتمثل في البساطة وفي السهولة باتباع طريق الخير لتصل إلى جنة النعيم من خلال اللسان والكلمات أي اللغة و وسائل التعبير السطحية المختلفة .

الإنسان و التطور البيولوجي :

الإنسان البدائي اكتفى ذاتيا بالصيد أو قطف الثمار والزراعة ، كانت نظمه وأخلاقه و طقوسه مكتفية بذاتها أيضا اكتشف الإنسان أنه يستطيع الكلام وطور هذه الآلية بالتعبير واللغة ،من ثم بدأ بالانفصال عن المملكة الحيوانية. بالطبع ! كانت للحيوانات أصوات للتفاهم فيما بينها و حركات وأساليب مختلفة ، لكنها موجودة منذ وجد الحيوان ولم تتطور إلى كلام ولغات ..ففي الدماغ البشري مناطق عصبية مهمة السيطرة على تلك الوظيفة ..منها ما يتصل باليد الإنسانية بحركاتها الدقيقة وهي التي أبدعت في العمل والفن والطقوس الجنائزية و الشعائر على العموم .. طور الإنسان أساليبه في العمل ، بالإضافة إلى اللغة على عكس الحيوان ..فالصوفي مثلا ، يعبر عن سيطرة الكلمات في الذكر على جوارحه حتى يجد خلاصه ، في إشراقة نورانية مباغتة ...الساحر ، يستعمل همهمات وترنيمات وعبارات مهمة ليحل مسألة عويصة بجملة واحدة ..

في بدء خلق العالم ، كانت " الكلمة " .." سبحان الذي يقول للشيء كن فيكون " وقد قال أفلاطون : « الكلمات تخلق الأشياء » ...تنبني الفلسفة – الأديان – الأفكار – الآداب – الفنون ، على الكلمة.

تنطلق الدعاية من الكلمة وهي تشعر بالامتلاء (وهم الإشباع) ...مثل : المنظر الطبيعي – جمال النساء – المقتنيات ..الخ .. و لا تختلف الدعاية عن السحر إلا شكلا (الدعاية تملأ خزائن السادة الذين يحكمون العالم ، والساحر يحظى بالمكانة و التقديس من خلال التحقيق الوهمي للحاجات ، فيصدقه المؤمنون به و بتأثيره و إمكانياته مثل : الخطيب من وراء المنبر ، الذي يمتلك سلطة دينية او استحقاقية ، أو متظاهرون يحرقون صورة رئيس أو علم دولة.

الثنائيات والمقدس:

التمذهب يقود إلى التعصب و إلى ادعاء امتلاك الحقيقة الكلية الشاملة ، أي امتلاك الكمال ، فتتجمد الحياة عند الحدود التي اصطنعتها " الفكرة / الحل " ، تبادل السلطة بين حق كامل وباطل كامل !
هذه الثنائيات هي التي تحول " المقدس " إلى إيديولوجيا اعتقادية ، ما دمت على حق ، فإنك كمخالف لي لا بد أن تكون على باطل ، أو في أفضل الحالات مخطئا .
التعدادات استثنائية في تصورات" المقدس " ، فما يجمع الناس في تصورما واحد ، وما يجمع غيرهم في تصور آخر واحد أيضا (...) الجسد يوفر استهلاكها عبر تبسيطها ، و إزالة كل ما يشوهها ...
ينبني التفكير عبر عمل الدماغ على عملية مكاملة Intégration ادمج كل الواقع الخارجي بتنوعاته في الرأس رمزياInternalisation وينتجه متكاملا واحدا ..لكن هذه الواحدية قدرها أن تتحول إلى ثنائية ساعة المواجهة .

المقدس والاستحقاق: يستعير " المقدس" الخاصية الأولى للإنسان ، ويخضعها لوظيفته ، فهذا " نجم " لأن أول استقبال له يحدد ملامحه الأخاذة ؛ وهذه "نجمة" لأن أول استقبال مقطعي يحدد جمالها الأخاذ ، وهذا " زعيم " لأن له القدرة على الجاذبية في هيئته وصورته و طريقة كلامه : - الاستحقاق ، جزء من المقدس ، فمثال لحظة

الاستقبال يعني عملية أولية تدعمها عملية زمنية (تاريخية) ، وهي تقدم آلية دماغية للواحد الأول الذي يصبح الواحد النهائي. لكن في الطبيعة الأمر يختلف ، أي التحديد المقطعي للاستقلال و الرد ، فنحن لا نرى الشجرة فقط ، وإنما أغصانها وأوراقها وجذعها ؛ أو أصوات الجوار من الحشرات و الرياح وخرير المياه عبر الأذن (...) أو بين السحب التي تتخذ ألوانا متعددة من السحاب ، والشمس والقمر والنجوم ، من خلال حاسة العين ؛ بين " الوعي واللا وعي " يعمل الدماغ (موقع التشابكات العصبية) – سديم الرموز -!

لا يخلو دين في العالم من رؤياه ، وكل الرؤى حقيقية لكنها على المستوى الرمزي فقط تكون كذلك ، وعن الرمز يقول " فرويد " : « إن الأشياء التي وصلتنا رمزية اليوم ، ربما كانت محتملة الارتباط في العصور ما قبل – التاريخية بهوية لغوية مفاهيمية ...ففي حالات كثيرة يمتد رمز عام أبعد كثيرا من استخدامه اللغوي » ..

<u>المرجع</u>:

عبدالهادي عبدالرحمن : عرش المقدس ..الدين في الثقافة ، والثقافة في الدين – دار الطبيعة ، بيروت ، لبنان – 2000م .

المحاضرة السابعة : الآليات العصبية و تكوين المقدس ..

يقول تشومسكي في هذا المجال : « إن عقلنا مصمم لبناء أنظمة اعتقادنا ، فالخبرات نفسرها وفقا للتصميم الخاص بعقليتنا ، ونصل إلى المعرفة عندما تتلاءم أفكار العقل الذاتية مع البنى التي يخلقها تبعا لطبيعة الأشياء » . الخبرات العقلية التي صممت على جذور نصية دينية قديمة ، يتغلب فيها " فعل **الكلام** " على " فعل **التفكير** " .. سادت " النصية " بصفة مطلقة ، لا يناقش النص باعتباره نصا أو لغة أو حاوية دلالات ، لكن باعتباره يتعالى على أي لغة ويحوي الكمال الشامل ؛ إذن ، هو نص " لا يناقش " ، نص يتكلم فقط،يلقى و يتحكم في كل التصورات الذهنية للحقيقة .

يعلق " فوكو " على تصور الخلاف بين المذاهب الدينية مثلا ...وجماعات الخطاب أو ما يسميه الخلاف بين العبارة والذات ،فيقول : « إن البدعة والسنة ، لا يلحقان أبدا بالمبالغة المفرطة و المتعصبة للآليات المذهبية ، بل كلاهما ينتمي وظيفيا إلى تلك الآليات ...يثير لنا المذهب مشكلة العبارات بدءا بالذوات المتحدثة ، وكلما صار المذهب عادلا للرمز و التجلي وأداة الانتماء المسبق ، فإنه يربط الأفراد ببعض أنماط التعبير في حين يمنعها عن غيرهم » .... وينتقد نظام التعليم قائلا : « ما عساه نظام التعليل أن يكون ، إن لم يكن ضربا من إضفاء صبغة الطقس على الكلام ، إن لم يكن تكوينا لجماعة مذهبية مكشوفة نسبيا ، وإن لم يكن توزيعا و تملكا للخطاب بكل ما له من سلطة ومعرفة (فوكو : جينالوجيا المعرفة ...ص 18-19) .

طقوس الإخضاع :

يوحي عقل الإنسان دائما باكتشافات جديدة و تطلعات وإرادة " غير غرائزية " ، تتجاوز حدود الغرائز الأولى (...) من الناحية الجنسية ، فإن الحيوانات تمارسه للتكاثر وحفظ التنوع ، والمتعة ، والإحساس باللذة (بعضها مرة في العام، أما الإنسان فقد تجاوز حفظ النوع باكتشاف المضادات الحيوية والأمصال و أصبح لديه " فائض نوع " – إن جاز التعبير – ولا يمارس الجنس لحفظ النوع فقط ، بل يأتي التكاثر عرضا ؛ و إنما يمارس الإنسان الجنس لمبدأ اللذة الذي أصبح نظيرا له ، و ربما أكثر لمبدء حفظ النوع ! ..
أما الإنتاج الأدبي ، فكان يدور حول مبدأين – الحب إزاء الحرب – اللذة إزاء النوع – بنى الإنسان طقوسه عليها فأصبح يمارس الطقوس من خلال الحروب والحب لكي يبرر عدم شبعه وجوعه الدائم ..

لماذا غلبت الطقوس والعبادات على الإيمان ، وشكل المظاهرات وطبيعة التحريض ...الشخصية الاستحقاقية للقيادة و جاذبية الخطيب ، واللعب على المشاعر الجماعية ..من خلال الأحزاب والسلطة؟.
الاحتياطي الاستراتيجي للإنسان هو ما يحميه من الاستنزاف الذي يكون قاتلا ؛ تؤثر المخاطر والحروب والأوبئة والأزمات والزلازل – ما تم ذكره سابقا – على الجانب البيولوجي ، لأنه إذا عملت أعضاء الجسم البشري (القلب – الدماغ – الأعضاء – العين) بأقصى قدراتها ، سيكون عمر الإنسان 10/1 عمره الحقيقي ..لذلك يحتاج الإنسان إلى جرعة روحية ...رغم انتشار العلم والتحول نحو العلمانية والمدنية الحديثة ، ورغم هزيمة الكنيسة منذ قرون في أوروبا ، إلا أننا نرى هذه السنين – على مستوى العالم أجمع - نهوضا دينيا جديدا لم يكن موجودا من قبل – وإن كان بأشكال متنوعة – و نهوضا طائفيا و قوميا و عرقيا ، وكنا قد ظننا بأنه دخل متحف التاريخ .. فعصر العلم لم يعلمنا حياة الإنسان بعد ، و تأثيره لا يزال في الشكل و ليس في الجوهر (...) اختار الإنسان الخضوع

لمخازن ذاته العميقة كآلية التوازن بين المقاومة والاستسلام ! تعود الإنسان المتدين على الإيمان بالكمال المطلق ، بل خلق لديه من خلال العلم وتقدم أدواته و مناهجه " مجهولا جديدا " ، فالجاهل دائما راض و سعيد بعلمه ، والعالم دائما حائر وغير راض عن جهله ! ذو العلم يشقى في النعيم بعقله ...وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم – على حد قول " الشاعر " ، بسبب الفعل الغائب والشرط المتعالي ، تخندق الناس في حفر العقائد و الطوائف و القوميات وتمسكوا بالواضح الكلي و المكشوف النهائي ، بالسهل المريح ، تتجمع الحيوانات ساعة الخطر ، أما الجماعات البشرية فتلجأ إلى أبسط ما يقربها من بعضها ساعة الحيرة !

عندما اكتشف " بافلوف " قانون المنعكس الشرطي لم يكن يدري أنه على المستوى الديني سيستخدمه رجال " اللاهوت " في الحشد و الطقوس ! لذا ينبغي اختراق الأعماق البدائية للإنسان بحثا عن جذور المقدس لا عن تفسير نهائي له !

الإنسان في اختراع المقدس لم يقف عند حدوده الفكرية والعقائدية الأولى ، بل تجاوزته إلى إيديولوجيات أكثر تطورا، بعضها استفاد من منجزات العقلانية و العلم الحديث و مناهجه ، وبعضه ما زال متكلسا عند المرحلة البرونزية ...! أمام هذا المجهول / الفراغ لا بد من ملئه و الأداة بسيطة ، وفي متناول الإنسان (استخدام الرمز وتطويع اللغة) ؛ ولكن تظل الحيرة قائمة (استخدام علامات الاستفهام والتعجب في اللغة يدل على ذلك !) ، لكن كلما كشف جزء من المجهول تضاعفت حيرته ....و وسط " اللامعنى " ، فأي موضع يختار و أي فراغ يملأ؟ هذا ما ضاعف من عدد المجانين و كذلك عدد المؤمنين في عالمنا ؛ الآن يختلف عن الماضي ، حيث كان المجهول محدودا (...) الآن ، المجهول أكثر مع كثرة الأسئلة و تفرعها يتطلب إجابات مركزة (هوية ، وحدة) .. هكذا يعمل الدماغ البشري لابتكار الآلهة ، أو ظهور الإله ! المرضى النفسانيون Psychopathes؛ أكثر عددا من عدد المتناسين في مستوى العقيدة ...

المرجع:!

عبدالهادي عبدالرحمن : عرش المقدس -الدين في الثقافة و الثقافة في الدين - دار الطبيعة ، بيروت ، لبنان ، 2000م .

المحاضرة الثامنة : المقدس والسحري

يقول ليفي ستروس :« ليس التفكير السحري مقدمة ، أو بداية أو مخططا أوليا أو جزءا من كل لم يتحقق بعد ، و إنما يشكل منهجا يتمفصل تماما بصورة مستقلة في هذه العلاقة مع منهج آخر ألا وهو العلم ، باستثناء التماثل الشكلي الذي يقارب بينهما والذي يجعل من الأول نوعا من التفكير المجازي عن الثاني » ..La pensée sauvage لابد من وضع " الوعي و اللاوعي "في إطار محدد وضمن وقائع مهمة تسمح بتأكيد صلاحية تأويل أي مقولة " لاواعية" كامنة ، بالمقارنة مع محتواها الواعي (المقولة الصريحة). .
تشكل مجموعات الطبقات الشعبية والوسطى دلالة على التقارب الشامل لهذا الطقس السحري وباندماجه في فكر توليفي يتوحد هذا الطقس مع مجموعة من الرموز التي يحددها المقدس في مجملها .. على هذا الأساس ، سيشكل الدين الطقوس التقليدية الصحيحة والبدعية و التقاليد العائلة والاجتماعية تمثلات هذا المقدس الجماعية ؛ هذا المقدس يكون في نفس الوقت منظومة مرجعية كلانية وشرطا للتوازن السيكولوجي . هذا يعني بشكل ما ، أن الطقس السحري الذي هو جزء لا يتجزأ من هذا المقدس الشائع والمتعدد القيم ، يبقي على وظائفه العتيقة والمطمئنة أيضا ، فتتميز جميع وظائف السحري الدينية الوقائية والعلاجية بتلطيف آلام الحياة ، وهي من هذا المنطلق تكتسب محاباة الأفراد .

أما مواقف أفراد الجماعات العليا إزاء المقدس فهي أقل وضوحا بكثير ...إذ هناك انتقادات مختلفة نحو مضمون هذا المقدس ، لأن مكنوناته تكون عادة متفككة ، على هذا الأساس يتم الاعتراض على السحر بسبب تناقضه مع الفعل الديني ..فإذا كانت هذه الوسيلة تسمح في المرحلة الأولى بتبرير معارضة كل البقايا الثقافية المعتبرة مناهضة للتقدم ، فلسوف تختفي كلما انخرطت الحالات الانفعالية في شبكة صراع ؛ فالقلق من الرغبة في التغيير الاجتماعي تصطدم بفقدان الهوية مع ما يرافق ذلك من اضطرابات ..هذا التخوف يحي البيئة الثقافية بواسطة عدد من الاستعدادات النفسية ..

التدابير الوقائية من انحلال القيم والانتقائية الثقافية والتبريرات والإنكارات اللاواعية ، تساعد المنسلخ ثقافيا في جهده الدائم لتجاوز أو تلطيف صراعه التقاطعي. .
هذا الموقف الدفاعي والمعاش اليومي يؤازره بصورة ظرفية الطقس السحري كمتمم تطهيري أو إجراء تكفيري عن انتهاكات النسق الثقافي القديم ، والرغبة في التغيير –كما أشرنا سابقا- إلى تبخيس " لاواعي " للقيم الدينية (...) ، هذه الرغبة تشعر حاملها بأنها مدعاة للذنب (...) والخوف من العين الشريرة وتهديد السحر للنقيض المحتمل بأسوء العقوبات ، منها فقدان الهوية الثقافية والشخصية في نفس الوقت ..بينما الانسلاخ الثقافي يكون فيه المعنى العميق المنسوب لتأثير الثقافة الجديدة سلبيا أكثر من كونه إيجابيا ، وهذا المعنى يعود إلى رؤية الثقافة الجديدة السلطوية التي ترسي قوة تأثيرها – المبالغ أحيانا في تقديرها – والتي توهم بمنع القيم التقليدية بل القضاء عليها تماما ... يمكن طرح الفرضية التالية :« كلما تسارع التكيف مع بعض سمات الثقافة الجديدة – المادية أو استنباط سماتها الروحية و الاجتماعية – كلما قويت المخافة من الانسلاخ الثقافي» ...وهذا ، سيفرض رد فعل دفاعي يتمثل في إعادة تنشيط الأنماط القديمة (الطقوس) الثابتة والمقاومة للتغيير في آن واحد ، ومن ثم فإن ممارسة الطقوس تعبر عن " عملية جماعية " في مواجهة الانسلاخ الثقافي ..

فيما يتعلق بالصحة الجسدية و النفسية ، فإن فكرة " الثروة " تثير الرغبة في الحياة ...في هذا الإطار الفوضوي ، تشكل النظرة إلى الموت حملا ثقيلا جدا على من لا يرى في الوجود سلسلة متواصلة من المباهج (...) لذلك ، ينبغي الترحيب بكل عمل من شأنه أن يطرد "الفأل السيء " بشعائر الاستحواذ التي تنطوي على " قدرة وقائية " ، لا مثيل لها في مواجهة " أذى الرامي " التي تتربص بالمتهور المغتر بأملاكه وثروته .

هذا الخطر الكامن يتطلب تحالفا سريا مع اختلاطات الكون ، إلى جانب السرية الاجتماعية فيما يتعلق بالخصائص العامة (...) ومن ثم ، يصبح "العمل الشرير" الذي يقوم به من تمتلكهم " الغيرة " و الذين يتسببون في " الأذى السحري " مقيدا ، وتصبح الحياة ، وكأنها ثروات مكتسبة ...

أما إذا أدى " سوء الحظ " – رغم كل شيء – إلى حدوث مكروه ما ، فإن التحالف مع المقدس ينطوي على تأثير الصلاة العلاجي و التفريجي ، حيثما يكون الأمر مرهون بمرض أو قلق وجودي !

<u>المرجع</u>:

نورالدين طوالبي : إشكالية المقدس – تر: وجيه البعيني – منشورات عويدات بيروت ، باريس مع ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1988 م .